لا تظنوا الموت موتاً انهُ ... لحياة وهو غايات المنى
حيِّ ذا العيش بعيش نكدٍ ... فاذا مات سُلبنا الوسنا
لا تُرُعكم هجمة الموت فما ... هو الّا نقلٌ من هاهنا
فاخلعوا الاجسام عن انفسكم ... تجدوا الحق جهاراً عانا
أحسنوا الظن برب راحم ... تشكروا السعي وتأتوا أمنا
وخذوا في الزاد جهداً لا تنوا ... ليس بالعاقل منّا مَن ونى
ما ارى نفسيَ الّا انتمُ ... واعتقادي انكم انتم انا
عنصر الانفس منا واحد ... وكذا الاجسام جسماً عنّا
فمتى ما كان خيراً فلنا ... ومتى ما كان شراً فبنا
فارحموني ترحموا انفسكم ... واعلموا انكمُ في إثرنا
اسأل الله لنفسي رحمةً ... ورحم الله صديقاً أمّنا
وعليكم من سلامي طيبٌ ... وسلام الله يبدو ويثنى

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وممّن اشتهروا ايضاً بالآداب والنظم بين النصارى في مفتتح القرن التاسع عشر القس حنانيا منيّر الزوقيّ (١ الذي ذكرناهُ في باب التاريخ (ص ١٣٤). فانهُ برع

١) افادنا حضرة القس الفاضل جرجس منش الماروني انّ اسرة القس حنانيا منيّر (بكسر الياء المشدّدة كما هو المتداول بين الحلبيين او بفتحها كما هو الغالب في لبنان اشارة الى ضيعة النير او من بيع النسيج المنيّر) اصلها من حلب ثمّ هاجرت الى لبنان فاستوطنت الزوق في تضاعيف القرن الثامن عشر في جملة الاسر التي خرجت من الشهباء في ذلك العهد وفي اوائل القرن التاسع عشر فراراً من شر الاضطهادات التي اثارها المتفصلون على ما ذكره روفائيل مخلوطا المعروف بالنالي وغيرهُ من كتبة ذلك الزمان. ثمّ انقرضت اسرة النيّر من حلب فلم يبقَ منها احد بعد ان كانت نامية متعدّدة الافراد. ويؤخذ من سجلّ مواليد الملكيين الكاثوليك في حلب انّ هذه الاسرة انقسمت الى ثلاثة بطون عُرف الأول منها بالمنيّر على الاطلاق والثاني غلب عليهِ لقب الحكيم من جدّها ابراهيم

ايضاً في الفنون الادبيّة فمن ذلك مجموع امثال لبنان وبلاد الشام يبلغ نحو ٤٠٠٠ مثل وكتاب مقامات بديعة جامعة بين فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني (المشرق ٤ : ٩٧٣) هذا فضلاً عن كتاب في شرح عقائد الدروز طبعهُ المسيو غويس (Guys) في باريس ونقلهُ الى الفرنسويّة. امّا شعرهُ فلم نحصل منهُ الّا على بعض مقاطيع روينا بعضها سابقاً (المشرق ٤ : ٩٧٠ — ٩٧٢) منها قصيدتهُ الرنّانة التي قالها في تهنئة سليمان باشا لما اتى عكّا ليتولّاها بعد وفاة الجزّار. اوّلها :

لهوى الاحبّة في الفؤاد مخيّمُ نيرانهُ بين الجوانح تُضرَمُ

ومنها: مبدا ابشري عكّا افرحي حيفا اطربي والقاطنون جنّ فليترنّموا
كن يا سليمان الوزير مؤازرًا للخائفين وجارماً من يجرموا
واعظم وسدْ وارحم وعُدْ واسم وجُدْ واسلمْ ودمْ بسعادةٍ لك تخدم

وختمها بهذا التاريخ :

واذا انتهى شعري بمدحك مرّةً ارّختُ ببدأ مدحك لا يُختم

ومما قالهُ في الزهد والدعاء قولهُ في مقدّمة تاريخهِ الرهبانيّ

اني لفي عظم الوجلْ من قُرب ايام الأجلْ
من بعدهِ لا بُدّ ما يعروني في الدين الخجلْ
اذ انني قضّيتُ عمري بالملاهي والبَطَلْ
والحكم لم يُقبَل بهِ عذرٌ ولم ينفع وجلْ
أملا لعونك مربّاً فأعطفي نحوي النجلْ
وتشفّعي بي يا بتو لا وأدركيني بالعجلْ

المنيّر الحكيم ويظنّ حضرة مكاتبنا انّ القس حنانياً تلقّب بالطبيب اشارةً الى لقب هذا الفرع بالحكيم ليس كما ذكرنا (المشرق ٤١٤) لمزاولتهِ فنّ الطبّ. والثالث غلب عليهِ لقب ارميا من جدهم عبد الله بن ارميا من بيت المنيّر. ومما ذُكر من مواليد هذه الاسرة جرجس بن توما ويوسف بن الياس (بن المنيّر) وزينب بنت ابراهيم (المنيّر الحكيم) وعبد الله بن ارميا (من بيت المنيّر) في سنة ١٧٣٥ وجبرائيل بن منصور (١٧٣٦) وكاسيا بنت نسمة (١٧٣٧) وجرجس بن ارميا (١٧٣٨) ومارة بنت يعقوب (١٧٣٩) ويعقوب بن جبرائيل وجرجس الآخر بن ارميا (١٧٤٠) وترزيا بنت توما (١٧٤٢) وسيدة بنت جبرائيل ونسمة الله بن توما (١٧٤٣) ويوسف بن منصور (١٧٥٧). وليس غير ذلك في السجل الملكي. وكذلك عُرف من افراد هذه الاسرة القسّ بولس (ولد عيسى المنيّر) الذي خدم ابرشيّة حلب الملكيّة الكاثوليكية واوقف بعض المخطوطات على مكتبتها في آخر القرن الثامن عشر

ولمَّا توفي الجزَّار سنة ١٢١٩ (١٨٠٤ م) وكان بالغ في الظلم وجنح الى العصيان وضع كلّ شعراء ذلك العصر من مسلمين ونصارى قصائد هجوهُ فيها وارَّخوا وفاتهُ (اطلب المشرق ٢: ٧٣٨) فقال القس حنانيًا ابياتًا اثبتها في آخر تاريخهِ للشوف ورواها الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ (المشرق ٤: ٩٧٠)

ومن رثائهِ قصيدة قالها في البطريرك اغناطيوس صرُّوف لمَّا قتلهُ الياس عماد سنة ١٨١٢ اوَّلها:

علامَ دمعي من عيوني يُذرفُ وإلامَ لا يرقا ولا يتكفكفُ
هل كابدت كبدي لظىً لا ينطفي ام في الحشا جذوةُ نارٍ تقطفُ

ومنها في مدح الفقيد:

يا شمس افق الشرق ذاع ضياؤهُ في الغرب انّى شمس فخرك تكسفُ
يا راس كهنة بيعة الله التي بِنْتِ انت ايضاً في الاعالي اسقفُ
اوّاهُ وا اسفي ولوعاتي على مَنْ كلُّ من يدري بهِ يتأسَّفُ
قسّاً فلو يُفدى لكنتُ فديتهُ بالروح مرتاحاً ولا اتوقَّفُ

وكان القس حنانيًا يتفنن بالنظم ولهُ قصائد بالشعر العامّي غاية في اللطف منها قصيدة في الخمَّارة والعرق لم نحصل عليها. وهو الناظم للقصَّة الشهيرة المعروفة بالبرغوث كنَّا اثبتناها اوَّلًا في كتابنا علم الادب سنة ١٨٨٦ ثمَّ وجدناها كما كتبها القسّ حنانيا وهي اوسع واظرف ممَّا نشرناهُ وهذه هي القصيدة كما وقفنا عليها في كتاب مخطوط من ايَّام المؤلف وفي اخرها اسمهُ:

١ اعدّ بيوت مع قصدانْ راضبركم بما قد كانْ طول الليل وانا فلقانْ
واصبح جلدي كالجربانْ
٢ يا البرغوث وانا نائم وصار على صدري حائم وقال لي من شهر بن صائم
في حسابي خاص رمضانْ
٣ قلتلو لا تجادلني علامك انت تكاربني بالله عليك لا تتعبني
كل النهار وانا تعبانْ
٤ قال لي ليس انا جسّك ان كان سرّك او غمّك عشاي الليلي من دمّك
ويكرا يفرجها الرحمانْ
٥ قلت يا برغوت انا بداريك وبين الناس انشد فيك روح لغيري يعشيك
واتركني الليلي نعسانْ
٦ قال لي ما هو عاكيفك وعليلي انا ضيفك عيب عليك يا حيفك
اكون عندك وابات جيعان

٧ لا تحسب اني جابلك بجي وبدخل في عبابك بدور حول جنابك
ان كنت نائم او سهران

٨ قلت يا برغوت اسمع مني وهاليلي ارجع عني ودّمني راقد متهني
يبقى لك عندي احسان

٩ قال لي شوارك مرذولة وعندي ما هي مقبولة ومواعيدك هي مجهولة
وعمري ما يصدّق انسان

١٠ فتلتُر وياك يا عقرق لا يا اسود يا مسحرق يتخدعني وما عندك ذوق
وعجزك من قريب يبان

١١ قال انا بالعين صغير ولي في الليل فعل كبير انا ما يفزع من وزير
ولا من حاكم ولا سلطان

١٢ بتسير في بسوادي وانا اليوم لك معادي لأجيك انا واولادي
وبعلمك فعل السودان

١٣ فتلتو ما انا جمّلك ولا اولادك ولا اولاد عمك لاحرق ابوك مع امك
وبناتكم مع الصيان

١٤ قال بخليك حتّى تنام اجيك انا واولادي قوام لمّا تلبس ثوب المنام
وعن سكي تبقى عجزان

١٥ وحالًا بتصير تتقلّب وانا في جلدك مكلّب وانت تبقى متقلب
بصبغ جلدك والقصان

١٦ قلت يابرغوت ان كنت عانق امتحني وانا فانق وضوّ الشمس يكون شارق
لتنظر من هو التلبان

١٧ قال انا بالنهار بصوم بقضيها إرتياح ونوم عند غياب الشمس بقوم
وادور حول البقان

١٨ وان صار لي بالنهار فرصة لا بدّ ما اقرص لي قرصة ولولا خوفي من جرصة
ما كنت بيّب انسان

١٩ قلت الرهبان لا تقرّبهم والشرير محاربهم روح عنهم لاتذهبهم
يكفاهم شر الشيطان

٢٠ قال الراهب هو ملزوم بالسهر والصلا والصوم لئلا ينادى بالنوم
ما هو مليح يكون كسلان

٢١ وانا من بوي بجبّه بجي وبدخل في عبّه كي يقوم يعبد ربّه
ويطلب للعالم غفران

٢٢ وانت إنما فيك تربطني وانا ربي سلطني ولمّا بدّك بتلقطني
بصير بنز كالنزلان

١٣ وبعرف لمّا بتمسكني ما بصور تتركني حالًا بتصير تفرّكني
وفي قتلي بتبقى شمتان

١٤ وانا في اول الليل بصيّد بقوة مع حيل وبصير بركض مثل الخيل
وها صدرك بسهل ميدان

١٥ قلت يا برغوت يا محتور حقًا من جنسك مفهور لا بد ما اعملّك تتور
واحميه بالشرك والبلان

١٦ قال لي كلامك كله نشار قراني واولادي كتار وتربّوا عند الجزّار
ونسلّطوا على البلدان

١٧ وعلى ايش حقّي تحرقني حيث ربّي خالقني وانا الدم يوافقني
وطالب من دمك فنجان

١٨ قلت يابرغوت بالك فاضي وعليك ما انا راضي لا بد اشكيك للقاضي
واخرج في قتلك فرمان

١٩ قال حكم القاضي انا عاصيه ومن يومي انا معاديه وفرمانه لا يعمل في
وعليّ ما له سلطان

٢٠ قلت يا برغوت قلي كارك راهديني لباب دارك قصدي اقطع جدارك
واحرق نسلك بالنيران

٢١ قال لي امشيه بقلك وعلى باب داري بدلّك حتّى ادخل في ظلك
وارقصك رقص السمدان

٢٢ قلت يابرغوت صدقة عنك عرّفني طريق فنك وكيف بقدر خلص منك
صرت في امري حيران

٢٣ قال ان كان تعرف فني طاوعني واسمع مني انا نصيحك أمّني
قصدي خيرك يا انسان

٢٤ كنّس بيتك في طبون ورشه بزوم الزيتون وخليه انضف من ماعون
وطيّنهُ بتراب ولبّان

٢٥ وتيابك قبال ان تلبسها برغها او شمّسها وارض الدار كنّسها
كذلك اعمال بالدكّان

٢٦ لمّا يضيمك شوبك عند النوم غير توبك ما احد يحمي صوبك
وعلى التخت افرش ونام

٢٧ هذا ما قد صار فيّي عند السهرا من عشّي وكان في بده الصيفي
في آخر يوم من نيسان

(تمّت القصّة من القس حنانيا منير)

*

وكذلك اشتهر بين شعراء ذلك الدهر المعلم الياس ادّه وكان مولدهُ في قرية اده من اعمال جبيل سنة ١٧٤١ وتوفي في بعبدا سنة ١٨٢٨ وهناك ضريحهُ وقد صحب الامراء الشهابيين ومدحهم لاسيما الامير يوسف والامير بشير وكذلك خدم مدّة احمد باشا الجزار في عكّا حتّى هرب منهُ خوفاً على نفسهِ . وقد اتينا في المشرق (٢ : ٦١٣ و٧٣٦) في ترجمة الياس ادّه واعمالهِ وشعرهِ فلا حاجة الى الاطالة . ومما وقفنا لهُ بعد ذلك من الآثار الادبيّة مجموعة ذات ٢٣٥ صفحة ضمّنها نخبةً من اقوال الادباء والعلماء واللغويين جمعها وهو في حلب الشهباء سنة ١٢٠٧ (١٧٩٢ م) وسمّاها « الدرّ الملتقط من كلّ بحر وسقط » وجدنا منها نسخة تاريخها ١٢٤٧ (١٨٣١م) وهي عند احد ادباء عينطورة الخواجا جاماتي . وللمؤلف في وصف هذه المجموعة قولهُ :

اذا نظر الراني اليها بحالها رياضاً جا زَهرٌ وزُهرٌ زواهرُ
عرائس يجارها عليك خدورها ولكنّها تلك الخدورُ دفاترُ

ومما لم نذكرهُ من شعرهِ قولهُ في وفاة الشيخ سعد الخوري سنة ١٧٨٥ :

لا ريب بعد السعد لا شيءٌ فاخرُ وقد قُرِحت بالدمع منّا المحاجرُ
لقد غبت يا شمس الكمال فأرعدت فرائصنا والحزنُ للقلب قاطرُ
وفاضت مياهُ الدمع منّا فيا لنا وحقّك قلبٌ بعد فقدك صابرُ
وليل الشقا فينا أكفهرّ ظلامهُ وضاقت علينا بالفراق الدوائرُ
لتبكِ المعالي بعد بُعدك حسرةً كما لبستْ ثوب الحداد المفاخرُ
أيا لوذعيّاً كان للدهر سيّداً ومن كفّهِ للجود هامٍ وهامرُ
عليك من الرحمان اضعافُ رحمة ورضوانهُ ما ناح في الروض طائر
وما قال بالاحزان فيك مؤرّخٌ فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ

ولهُ كذلك قولهُ يصف انواء وزوابع حدثت في ٢٥ كانون الثاني من السنة ١٢٢٨ و(١٨١٣) :

هاجت رياحٌ بالشمال تجولُ فتصدّت ريحُ الجنوب تصولُ
وتكافحا حتّى كأنّ هبوجا فرسانُ حربٍ اقبلت وخيولُ
وغا الضبابُ على الهضاب سمّاً قمم الجبال كأنهُ الاكليلُ
فحرت سيوفُ البرق اعناق الغما م فسال منهُ دمهُ المطلولُ
وتراحمت فرق السحاب وقد بدا للرعد في وسط النيوم مهيلُ
ما زالت الانواء يخبط جيشها حتّى علا نور الضياء افولُ

والشمس قد كسفت بدالخ محرّم وعقيب هذه الكسف جاء سبولُ
وتعاظم النوْ الشديد وقد اتى صفرٌ بنرتهِ الرياحُ تدورُ
وبثالث منهُ اتى في جمعةٍ ثالجٌ يعمُّ على البطاح يهولُ
متكبكبٌ متطفّف يومان بعـ ليلٍ تواصل هطلهُ الموصولُ
عمّ الجرود وكذا الوسوط سوية وتعمّمت منهُ الرُّبى وسهول
فله كم من انفس هلكت وكم غصنٍ رطيبٍ قد علاهُ ذبولُ
ولفرط عظمتهِ وشدّة بردهِ دُهشت بهِ ابصارنا وعقولُ
ولازم الناسُ البيوت مخافةً يومين كلٌّ بالتقى مشغولُ
وتعاهدت تلك الخلائق بالدعا فله فهو الحافظُ المسئولُ (لهُ بقيّة)

اقاصيص قبائل الطاط

للاديب ر. يلبون

في القفقاز قبائل متفرّقة من المسلمين منها ايرانيّة ومنها تركيّة ومنها منغوليّة او تركمانيّة. ولكل هذه القبائل لغات شتّى يسعى في يومنا علماء الروس في درسها وتعريف خواصها. فمـا درسوهُ اخيرًا لغة قبيلة تُدعى الطاط يسكن ذووها في جهات باقو. ولغتهم من فروع اللغات الايرانية. ومن مميزاتها انها حافظة كثيرًا من خواصّ الفارسيّة القديمة. والدكتور ميلّر (١ قد ألّف في هذه اللغة كتابًا جمع فيهِ نصوصًا متعدّدة نقلها عن لسان اصحابها ورتّب مفرداتها على شكل معجم ونشرها في جملة مطبوعات مكتب لازاريف في القسم ٢٤ منها. وليس في فكرنا ان نشرح هنا خواصّ تلك اللغة الطاطيّة وانما ننقل عن كتاب الدكتور ميلّر بعض الاقاصيص التي رواها ليرى القرّاء العلاقة بينها وبين الحكايات الدارجة في هذه البلاد

﴿ الحكاية الاولى ﴾ كان بهلول رجلًا حكيمًا يقصدهُ العلماء لحكمتهِ وعلمهِ. وكان يسكن في بيت شاهق ذي اربع طبقات فكان لا يصعد الى سطحهِ

(١ وهذا اسم كتابهِ

TATSKIE ETOUDI: TEKSTI I TATSKO-RUSSKIN SLOVAR. Vs. Millera, *Moskva*, 1905, pp. 79.